الأراجوز وسؤال ثقافة الاطفال !!

على الرغم من الأهمية التي يحتلها الأدب الشعبي؛ فإنّ العناية بفن (الأراجوز) بوجه خاص، لم تكن بالقدر الذي تدل عليه بقية الوسائل التعبيرية الأخرى، التي خرجت من عباءة الثقافة الشعبية التي تدعونا إلى تأمل الأراجيز أو كافة الأشكال المتداخلة في بُنية الثقافة التي تجلّت أيضاً في صور مختلفة (لخيال الظل)، وفن العرائس وغيرها من الفنون التي التصقت بالوجدان الشعبي وانتقلت من مكان إلى آخر تحت تأثير عوامل داخلية وخارجية على المستويين المحلي والعربي.

بمعنى أنّ هذه العوامل غير منفصلة عن الواقع وطريقة التعبير عنه مع إبقاء فسحة ضرورية للاستفادة من الموروث السردي، من هنا ليس غريباً أن يُلاحظ المتتبع للحكايات والأساطير العربية، أنّ القصص التي يجري تداولها على اختلافها متشابهة، فعندما نسمع حكاية ما نشعر أنّها رواية من (عدن) مثلاً، أضف إلى ذلك ما نتج عن اتصال (عدن) بالحضارات والثقافات الأجنبية من الانفتاح على كثيرٍ من المعارف استطاع معها الفن والأدب والتجارة والتاريخ التجديد منذ الجاهلية مروراً بعصر الثورة التجارية إلى حيث أراد (طز البيسة) وتابعه (حمبص) أن يبقى هذا الفن.

نهلة عبدالله

إذاً كيف عرف فن (الأراجوز) (الكركوس) بالدارجة طريقه إلى (عدن)؟

أولا : لما بينها من صلات وشائج لا يمكن تجاهلها مع كثيرٍ مّن ثقافات وحضارات الشعوب.

ثانياً : لبساطتها ومقدرتها على النفاذ إلى الآخر.

بسبب هذه العوامل كانت الثقافة الشعبية بوسائلها المختلفة هي الأقدر على عكس خصائص المدينة الكموزموبوليتانية.

وإذا كان (الأراجوز) يُعد إرثاً شرعياً للحضارات الفرعونية والإغريقية والهندية؛ فإنّه يعتبر أيضاً الأب الحقيقي لكثير من الحكايات التي تلت هذه الحضّارات بقرون في أوروبا منذ العصور الوسطىّ.

كل هذا التراث الهائل ليس العربي فحسب بل وغير العربي وما قبل العربي لا يمكن تجاهله أو تركه؛ وكأنه لا قيمة له، فكل ما ورد في التراث من قيم روحية وفنية واجتماعية يجب أن نتمسّك بها، كالقصص والحكايات التي تروى ويُضاف إليها ما تحتفظ به الكتب؛ لأنه يوازيها من حيث تأثيرها المباشر.

وبالإمكان تلمس مظاهر أية حياة أدبية في (عدن) منذ قرون، ولكن في الأربعينات تحديدا، نشطت الحركة الأدبية فيهان فهناك عدد من الشعراء المرموقين وكتّاب القصة المتميزين، وكتّاب الأعمدة الصحفية، والفنانين والموسيقيين والمؤرخين ورجالات التعليم والدين والسياسة والاقتصاد والقانون والأدب وأناس ثقافته.

وإذا ما رجعنا على ذكريات فن (الأراجوز) خصوصاً فسنجد أن عدن في هذه المرحلة كان احتفالها بالعرائس وخيال الظل مهماً ومتميزا، وتكفي قراءة تاريخ تلك المرحلة لنكتشف كيف كان الناس يعيشون حياتهم ببساطة أدركت سر مغناطيسية هذه المدينة التي فتحت منافذها لتخلق رؤيتها الخاصة فكل شيء يحدث يومياً بمدنها الصغيرة من داخل تركيبتها المكانية (مُعاش ومسموع ومتداول) حفلات وأعراس بالشوارع وكان اللاعبون والراقصون والمغنون الشعبيون يجوبون أحياء هذه المدن ويقومون بالترفيه عن الناس ويعرضون أعمالهم وتمثيلياتهم ومدائحهم مقابل أجر زهيد.

و(الأراجوز) خصوصاً عكس غيره من الفنون ولد من الحاجة إلى وسيلة تعبير شعبية يكون لها تأثيرها المباشر في النفاذ إلى قلوب وعقول العامة واعتقد أنّه من حُسن حظ (أبو شنب) و(حمبص) و(أبو تمزة) وغيرهم أنهم تتلمذوا على أيدي شخصيات اجتماعية معروفة وأساتذة أرشدوهم على حقيقة الوعي بأهمية الوعي الشعبي، وهم الذين جعلوهم أيضاً يناقشون قضايا المجتمع وهمومه والخروج برأي يتعلم منه الناس إدراك المعاناة اليومية التي يعانيها أبناء البلد من سياسة المستعمر وأتباعه.

وبالنظر إلى محتوى أصحاب هذا الدور الكبير على هذا ا لصعيد من حيث قواهم المحركة فهم وبلا أدنى شك شكلوا محرك قيادي لمختلف الفئات بكل انتماءاتها الفكرية السياسية والشعبية، بهذا المعنى أصبح واضحاً التناسب بين الوعي والعفوية بكل ما يحمله هذا التعبير من معنى غيّر تصورات كثيرين عن النضال وأساليبه على صعيد الدعاية والتحريض وخلق البلبلة بغرض محاربة الأفكار الاستعمارية وإعادة توجيه عقول الناس باتجاه الضحكة الساخرة والنكتة الساخنة، إضافة إلى ما حققه هذا الشكل بغض النظر على تهريجه أحيانا فقد أظهر (الأراجوز) قدرته الإبداعية الخاصة على تحدي آلة القمع الاستعمارية، وهنا يمكن أن نستذكر بعض العبارات التي يرددها الأهالي بعد (طز البيسة) بائع التباتيك الجوال – على أكثر من صعيد ومنها ما هو على صلة بالسياسة التي أخذت بالتبلور في المجتمع العدني آنذاك ومنها ما أسهم في خلق حالة من الوعي بالمفاهيم الاجتماعية، ويمكن أن نستدل على هذا الموضوع من طريقة الاستجابة الجماهيرية لتلك النكات التي أصبحت لها دلالة ومغزى يتوجب تحليله بشكل مختلف عن الأساليب التي مضت غليها التجارب التعبيرية الأخرى، وفي هذا السياق نذكر – على سبيل المثال لا الحصر – يا مُسلّم يا سلام الحمامة أكلت الطعام، وكله على السنبل يا رنبل، فك البوك يا بن بوك فين كنت يا مليحة فين كنت مستريحة ونصرَاني في عانة عانتينّ نصراني ملعون والدين، والطير إذا يحبك با يهبلك، وإذا الطير ما يحبك ما بيهبلك!

وحيث أنّ هذه المقولات لم تبتعد في مراميها عن مجمل المقولات التي طرأت على الظروف العامة بحيث أصبحت أية عبارة أو حركة كفيلة بانتزاع الضحكة بصورةٍ لا تخلو من الدهشة.

وحتى لا نبتعد كثيراً دعونا نعود إلى الأراجوز الذي أخذ يرسخ معنى جديد للأطفال على نطاق واسع في أحياء عدن وشوارعها، وكيف أصبحت عربة بائع (التباتيك) معبرة عن اهتماماتهم من زوايا مختلفة وقد وجد هذا النوع ترجمته الثقافية بإقبال الأطفال عليه من كل الأعمار.

لكننا هنا نود التعرض لأحد عوامل انتشار فن (الأراجوز) والذي يكمن على وجه التحديد في نضج العامل الذاتي وتنامي الوعي بين أوساط الشعب وتبلور العملية التربوية التي شكلت نقلة نوعية تاريخية في الفكر والممارسة على مستوى التحولات البنيوية والنوعية.

ولسنا نبالغ إذا قلنا إنّ هذه العوامل لها آثارها المرحلية في استلهام الجديد وتبديل ما هو قائم لكل ما رافق تجربة الكبار برؤية جديدة تعترف بحق الطفل وتمنحه خصائصه الملائمة بصورةٍ مباشرة.

هذا جزء من المخطط الفني للكبار وجزء من محاولة تقديمه للصغار؛ لأنه لو عدنا إلى الأربعينات ستكون هناك المرأة العاصية التي لا تسمع الكلام والدوارة والعسكري والرجل العاطل والجارة النقمة أو النمامة، وبالتالي يمكن أن يكون هناك طفل مشاغب وآخر شره في النهاية، نجد أنّ (الأراجوز) له تنميطاته أي قيمة النمطية وهي جزء من المجتمع في ذلك الحين والحكاية الصالحة للأسرة وللأطفال بينهم.

غير أنّ التراجع الواضح (للأراجوز) بعد مدة طويلة من النجاح بسبب عدد من المستجدات جعلين من الفنّ الذي لا يقبل بديلاً له مشروعاً غير مكتمل وعندها يبقى السؤال الأهم كيف استطاع(الأراجوز) كنتاج شعبي أن يدير ظهره للثقافة الشعبية بعد عشرين عاماً من تجسيده على أرض الواقع فتحول إلى مجرد مظلة للخدع المضروبة، ويقيناً أنّ قدرة الحاوي الهندي على قطع رأسه من (الترقوة) وحمله بين يديه، خدعة بصرية مقنعة صحيح أنها لم تقلل من قيمة التجربة المحلية بكل ما توصل إليه عبدَالرحيم (أبو شنب) و(حمبص) من مهارة شكلت ظاهرة فنية مشهورة آنذاك ولكنهم أدركوا تماماً أنّ ما قام به الحاوي الهندي كان أدهى بكثير؛ لأنه فصل رأسه عن جسده وحمّله بين يديه (ذلك هو الفرق وتلك هي الخارقة) واعتقد أنّ هذه وتلك كانت مفقودة بشكل واضح في التجربة المحلية.

وبالطبع الأراجوز مثلما أثار الإعجاب بقدر لا يستهان به تراجع إلى الوراء بالقدر نفسه، فلم يكن هناك تلفزيون بعد ولا برامج أطفال تعترض طريق نجاحه، ولكن من أسباب تراجعه أمام شعبية (الباليه فيكشن) أو الكوميكس (COMECS) لذات السبب فتخلص الناس من تحيزهم للعرائس و(الناظور) أو صندوق الدنيا بعد أن خصصت دور العرض جزءاً من عرضها يومياً للرسوم المتحركة أو الرسوم الكارتونية باعتبارها حدثاً جديداً أدى في نهاية المطاف إلى إعفاء (الأراجوز) وتباتيك البائع الجوال من مهامهم وخصوصا بعد دخول التلفزيون إلى عدن في بداية الستينات وقد انعكس ذلك سلباً على تراجع جماهيرية الكركوس وغيره من الألعاب الشعبية التي أصبحت عروضه موسمية واقتصرت على تقديم نمر قديمة ومكشوفة.

ولأنّ الكتب كفيلة بتقديم بعض النماذج المعروفة باسم أدب الطفل؛ إلا أنه استجد في المسرح المدرسي والراديو مضامين أخرى نقلت هذا الأدب إلى مستوىً آخر معه تقدمت فنون القصة والشعر والاسكتشات الغُنائية والتمثيليات ومسرح الدمى ومجلات الأطفال أيضاً بل كانت السينما، وكما جاء عصر التلفاز وعرف العالم صناعة الكارتون، شهدت ثقافة الأطفال قفزة علمية كبيرة بدخول العالم عصر الرسوم المتحركة التي فاقت أرباحه عوائد بعض المنتجات المهمة.

ولعل المتتبع لتاريخ (الأراجوز) بصفة خاصة نجد أنه شهد فصولاً من نهايته على يد التلفاز وربما كانت هذه النهاية عبارة عن نتيجة معلنة لاختفائه، للأبد رغم حضوره القديم لو قيس (بالأراجوز) في مصرَ مثلاً أو أي بلد آخر، وقد يكون السبب هو سياسة الإهمال التي عانى منها الطفل وخصوصاً افتقاده للمسرح ولأشياء كثيرة مهمة في ثقافة الطفل على تعدد أنواعها.

الهوامش :

– اعتمدنا بصورةٍ أساسية في كتابة هذه الدراسة على ذكريات، عبدالرحمن بن نور باب، عبدالله محمد سعيد بن نبلان، سالم مفتاح عبيد.

– انفردت (عدن) وبالذات مدينة الشيخ عثمان بالصف الفني المعروف (بالكركوس)، وأثبتت الدراسات أنّ ثمّة تداخلاً بين فن خيال الظل والأراجوز والعرائس، فالأراجوز يتم تحريكه عن طريق أصابع اليد، وخيال الظل يستخدم العرائس المسطحة.

– والكركوس باللهجة الدارجة، هو عبارة عن نتاج شعبي أخذ ينتقل من مكان إلى آخر وظل مرتبطاً أكثر بالفئات الشعبية، قصصه تحت مناحي شتى سياسية واجتماعية وهزلية مغلفة بالنوادر والحكايات المرحة.

– وقد أشار الكاتب والفنان أديب قاسم في دراسة له نشرت في مجلة الحكمة عن (الأراجوز) الذي ظهر في عدن سنة ١٩٤٢م.

– هناك فرق بالمقصود من السرد الشفوي (قصص العامة) والسرد النصي قصص الخادة وأنواع هذا السرد والسمات والخصائص التي تفرق أو تجمع بين كل منهما.

– ظهرت عروض (الأراجوز) في كثير من أحياء عدن وخصوصاً مدينة الشيخ عثمان وكان يمارس هذا الفن في زيارات الأولياء والموائد الدينية والإجازات الرسمية.

– عبدالرحيم (أبو شنب) حاوي مشهور من أبناء كريتر كان مقره الدائم أو عشّته الخاصة بعروض (الأراجوز) تُقام بجانب قبة ولي الله الصالح الهاشمي في مدينة الشيخ عثمان.

– وعلى حسين طز البيسة وتابعه حمبص من أبناء مدينة الشيخ عثمان و(علي حسين) بائع تباتيك جوال، والتباتيك تعني عربة اليانصيب التي تحتوي على عرائس وألعاب وفناجين وأقلام وفرافير.

– وقال إنّ الأراجوز هو الفن الذي يجسد السخرية؛ لأنه يقوم على الشكوى من العيش ومن تقلبات الزمن ومن صعاب الحياة، ومعظم عروض الأراجوز لم تدون ويستبعد أن تكون نصوصه مكتوبة.

– ويرى الناقد الدكتور محمد مندور : إنّ الأراجوز فن اقرب إلى التهريج الشعبي من خيال الظل وأن تمثيلياته لم تكن إلا مرتجلة أو محفوظة وأنه لم يكن يثير غير الضحك دون أن يسعى إلى إيقاظ الفكر أو الهاب المشاعر.

– COMICS سُميَّت بالبالب فيكشن وهي عبارة عن رسوم كرتونية مهمتها رواية الحكاية بالصور الفوتوغرافية.

– ما لحق ذلك من تدمير مستمر للذاكرة المحلية لعدن.

المراجع :

(١)– خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال (الدكتور إبراهيم حمادة).
(٢)– التراث القصصي في الأدب العربي تأليف الدكتور محمد رجب النجار.
(٣) جوستاف لوبون في كتابه الحضارة المصرية.
(٤)– الصحف والجرائد والمجلات : مجلة الكويت العدد ٢٦١ دراسة للباحث عماد جمعة . السنة ٢٠٠٥م.
(٥)– مجلة الحكمة العدد ٨٨ أكتوبر ١٩٨٨م، دراسة نشرت للأديب والفنان أديب قاسم علي بعنوان تخطيط أدبي لمسرح العرائس.

اقواس

طقس الحرية ومناخ الثقافة

إذا كان من بديهيات النهوض الحضاري هو وجود الحركة الفكرية والعلمية التي تقود هذا النهوض وتوجهه وتمنحه عمقه المؤثر في حياة المجتمع،بل وتكون دليل أصالته وخصوصيته وجدارته للاستمرار،إذا كان الأمر كذلك فإن القول ببناء المجتمع الحديث وبأحداث التنمية الاجتماعية الشاملة لا معنى له إلا في وجود المناخ الثقافي الذي في ظلاله تزهر شجرة الأدب والفن والفكر.

على أن المستجدات في حياة المجتمع اليمني والمجتمعات العربية عموما والمتغيرات الكبرى التي تتصل بكافة البنى الاجتماعية والثقافية،وضعت المجتمع الثقافي أمام أكثر من سؤال يتصل بمهامه وأوضاعه والرؤى الصحيحة التي من المفترض أن تعمق من دوار الثقافة في وقت يقع فيه الإنسان المعاصر تحت وطأة الاستهلاك والتشيؤ. يجر فيه المرء إلى وحدة الخواء واللهث الجنوني وراء متطلبات الحياة المتصاعدة في تفصيلاتها اليومية،ومغريات الاستهلاك والسقوط تحت وطأة الحاجة وقسوة الظروف وصلابة الأنظمة وقمع المؤسسات وهيمنة الرأسمال والإعلام .

هانحن في رحلة البحث عن الثقافة والحلم نرى أن الأحلام والتطلعات لمجتمع ثقافي حر تتهاوى تحت وطأة سنابك الرأسماليين والبيروقراطيين وأجهزة التوجيه الإعلامي الإستهلاكي ووجهات الهامبرجر الثقافي والفني السريعة،ها نحن أولا بلا ثقافة ولا غناء ولا شعر،بل ولا لغة،فاللغة العربية صارت غريبة في بلا العرب،وفي إعلام العرب،وفي شعر العرب.

في ظروف كهذه يتساءل المثقف عن دورة ومكانته وعن الظروف التي تمكنه من أداء دوره ورسالته...؟،وهو تساؤل يكاد يضيع في صخب الحركة المحترمة للاقتصاد والمال والبضائع والأشياء..سؤال الثقافة يضيع في غياب الحرية..في غياب الأمل..في غياب الأهداف في اختلاط المفاهيم..بين الدين والتدين،بين السياسة والتسييس..بين الشكل والمضمون.. بين الذات والموضوع..بين الحلم والواقع.

غياب المناخ الثقافي..الاجتماعي يصنع خريفاً شاحباً لثقافة تبحث عن طقسها من الحرية والإبداع والتحديث.

عوض الشقاع

أين نحن من هؤلاء الأعلام!!

– متى..متى تقوم لنا قائمة مثل غيرنا من الأشقاء في مجالات الفن والإبداع والتعاطي مع الممكن الذي يخلق أعلاماً ونجوماً تعتزبهم شعوبهم وبلدانهم..متى يكون لنا مثل هذه المكانة التي ننشدها على مر السنين..ولكن..ما باليد حيلة..وصدق الشاعر المتنبي عندما قال حكمة غراء

"مـن يـهـن يـسـهـل الـهـوان عليـه
مـا لجـرح بمـيـت إيـلامُ"

– في الوطن العربي أدباء وفنانون وأعلام،صار بعضهم سفراء للأمم المتحدة،يضرب بهم المثل..وصار بعض هؤلاء الكبار،مصدر فخرواعتزاز ليس لبلدانهم،بل للوطن العربي كله واليمن جزء لا يتجزء من الوطن العربي الكبير،بل وأصل العروبة والحضارة..لكن..للأسف.. ليس هناك علم أو فنان أو مثقف قد ارتقى إلى هذه المرتبة عالمياً من وطننا اليمن..ترى ما السبب..وما هي المعوقات..ألسنا كغيرنا نمتلك ميزات تؤهلنا لنكون في مرمى المنظمات الدولية،بدل أن نستقبل أشقاء ولا نرسل من يمثلنا لهذه المهام الكبار؟!

– دعونا نقول:إن المثل القائل،هو قول مأثور:لا كرامة لنبي في أرضه،قد ينطبق علينا،إذا أننا نقتل الهمم ونحبط الكفاءات وكل ما لدينا هو التغني بالماضي التليد(الإيمان يمان..والحكمة يمانيه)نعم،لكن الواقع يقول العكس..وإلا..هل كان الملاكم نسيم حميد،سيكون على ما هو عليه من شهرة وقدرة لو أنه عاش في قريته في رداع،ولم ير العيش في بريطانيا التي منحته كل ما يتمنى ويزيد!

– والبرفيسور / حبيب عبد الرب السروري،ترى لو كان عاش بيننا،هل سيكون هذا العالم الفذ الذي يشار اليه– دولياً بالبنان،أما في اليمن فهو مجرد(رجل)والبعض يجهلون حتى أسمه ناهيك عن أعماله التي مكنته من العيش في بلاد أوربا وفوق المستوى!

–اليمن تمتلك عدداً من الأدباء والفنانين والعلماء والمثقفين،لكن مصيبتهم أنهم ولدوا في الأرض اليمنية التي لم يضع لها أحد الاعتبار،أقصد من مسؤولي الثقافة والعلم والشهرة فلماذا لم يختر(أحدنا)سفيراً للأمم المتحدة،مثل الأخوة المصريين والسوريين،لماذا لم تقم بلادنا بعمل من هذا النوع يرفع من مكانة مثقفيها وتصل بهم إلى تمثيلها دولياً وبإرادة فاعلة،بدل أن نظل تستقبل هذا أو ذاك،وكأننا أرض بباب جرداء..لم تنجب رجالا!

–أنا هنا أصرخ بصوت عال:لماذا لا تقم وزارة الخارجية والمغتربين والثقافة والإعلام،لماذا لا يقدمون قوائم بمن يرون أنهم يستحقون أن يكونوا سفراء للأمم المتحدة للنوايا الحسنة..

هل لأنهم غير راضيين عن هؤلاء الأعلام الكبار..أم لتقصير أورثنا الندم؟!

– أنا أقترح ترشيح سفراء للنوايا الحسنة من اليمن من كمية ونوعية فاعلة ترفع من مكانة اليمن وتقدم خبرة لمن يستحقها من الشعوب التي بليت بالويلات والحروب والكوارث الطبيعية..

هؤلاء..أقترح الآتية أسماؤهم ليكونوا في قائمة الترشيح وبدفع يمني قوي لا تراخي فيه:

١ – د.أبو بكر السقاف
٢– الشاعر الغنائي مصطفى خضر
٣– الفنان فؤاد الكبسي
٤– الشاعر محمد الشرقي
٥– عبد الكريم الرازحي
٦– د.أمنه النصيري
٧– د.محمد عمر باناجه
٨– د.محمد علي السقاف
٩– سالم العباب
١٠– نبيلة حمود
١١– أمل بلجون..وتطول القائمة لو أردنا أن يكون لنا الدور اليمني المطلوب!

– نحن على ثقة من أن هؤلاء وعشرات غيرهم سوف يكون لهم بالغ الأثر في العلاقات الدولية لتقريب وجهات النظر واستقطاب الدعم اللا محدود للمحتاجين ومنهم شعبنا اليمني الذي هو بمسيس الحاجة للدعم في كافة مجالات حياته!

نعمان الحكيم

قصة قصيرة

البحث عن المكتوب

عبدالإله سلام

السماء ملبدة بالغيوم وحرارة شهر يوليو تحمل في طياتها رطوبة لزجة تصاحبها رياح حارة تشوي الوجوه هو لا يستطيع الخروج بسبب تلك الحرارة ..تكاسل هذا الصباح عن الخروج كل ما يريده البحث عن عمل يليق به رغم الوعود التي حصل عليها بالعمل لكنه أخفق ..كان صاحبه قد وعده بعمل لكن ذلك الوعد لم يتم .. بات ليلته يكتب عريضة لتقديمها الى جهة العمل بعد أن فشل كل المحاولات بالبحث عن عمل حر . ظل يكتب ويمزق تلك الأوراق لا يعرف ماذا يكتب هو خريج جامعي من أعوام متأخرة تقادم عليها الزمن لم يتذكر العام الدراسي الذي تخرج رفضوا توظيفه.

قالوا له : ضع ملفك وعنوانك وسيتم فيه استدعاؤك عند الطلب فعل ما طلب منه هو يعرف أن مجال عمله مفتوح .. عمل في حقل التدريس وباجر زهيد ثم انصرف عن ذلك .

قال في نفسه: أعوام عشرة لا أتذكر متى كان التخرج ..كتب في عريضته .. أنا .. خريج عام .. توقف قليلاً عن الكتابة .. لم يعجبه ما كتب .. العمل السابق تركه لأن الغش كان في التحصيل الدراسي .. طالب اليوم لاهم له سوى التفنن في البرشمة من أول العام الدراسي (خير لي أن أكون حمالاً مما أرى من غش ومحاباة في المجال الدراسي) عمل مساعد نجار ثم حداداً كان العمل شاقاً ومتعباً لكن لقمة عيش حلال بحلال. عاود الكتابة مرة أخرى ..لا .. خريج أنا .. من قسم الفيزياء .. كلية .. توقف ..!! عن الكتابة كلية .

تناول ورقة أخرى وكتب ما يريد كتابته .. ضاق عنده كل شيء .. الغرفة لم تتسع له . النوم استعصى عليه . لقد تغير اسم الكلية .. اصبح لها اسم آخر تنفس الصباح من عتمة الليل وتداخل النهار .صحا متكاسلاً لا يعرف كيف صحا مبكراً نهض مسرعاً يلملم حاله .. (مثل هذا اليوم ومنذ تخرجه من الجامعة لا يعرف هذا الكسل والخمول) . هذا الصباح يعرف إنه موعود بعمل لدى مكتب العمل بدأ بترتيب أوراقه التي سيقدمها الى الخدمة المدنية شهادة التخرج ، شهادة تسنين ، الصور المطلوبة، ورقة الطلب .

هو .. يعرف كم من أوراق قدمت وكم من ملفات طويت وظلت في أدراج تلك المكاتب لا تعرف الوساطة وغيره .. لقد قدم ملفاً سابقاً تاه ولم يعرف أين هو قالوا: إن النظام قد تغير وإن هناك أولوية للخريجين القدماء حيث يوجد كمبيوتر لحفظ الملفات وأرقام تعطى للمتقدم فرح كثيراً لأن النظام سمة كل مجتمع متقدم ..

فرح كطفل يلهو في ثدي أمه او خلافسيح .. راح يختار الملبس الذي سيلبسه . ووضب ذقنه الذي ظل منكوشاً لا يعرف طعم حلاقة الموس . نظف حذاءه المهمل والذي لا تعرفه قدماه وأصلح حاله . خرج من منزله وهو نشوان يقرع الشارع كانت خطواته شبه عسكرية .

يتخطى الارصفة يسابق الزمن الآتي يبحث عن مركوب لإيصاله الى مطلوبه تحسس جيوبه وجد عدة ريالات لإيصاله الى مقر العمل ولسد رمقه من جوع الأمس .. تذكر الأمس وتلك المصاعب والتعب . تنمل جسمه تذكر تلك الحالة التي مر بها عندما كان يتسلق تلك السيارات الخارجة من باب الميناء وقد أكل عليها الدهر وشرب يتسلقها لإنزال ما بها من حمولة . لا أحد يعرف أنه خريج جامعي كان يعمل ذلك بعض الاحيان لسد متطلباته اليومية من مأكل ومصروف جيب ومعونة لأسرته شبه الفقيرة .. تأمل فتحة بوابة الميناء قبل أن يضع رجله على الحافلة التي ستوصله الى مكتب الخدمة ظل يقلب ملفه من أول ورقة الى آخر ورقة .. توقفت الحافلة لم يبق سواه .. تداخلت بعض الافكار .. لم ينتبه ما لم يكن في الحسبان أناساً كثيرين تذكر الماضي وعشر سنوات مضت ..هنا لا تسمع الداعي من المجيب حشر نفسه بين تلك الكتل البشرية لعله يجد ضالته يسمع جعجعة ولا يرى طحيناً .. سأل نفسه أولاً أسئلة كثيرة !!؟ بعد أن غاص بين تلك الجموع .

مكتب الخدمة المدنية ، كان قفصه الصدري يعلو ويهبط من شدة الزحام

– الأخ خريج جديد ؟

هز رأسه بل قديم جداً .

– سنة التخرج؟

قبل عشر سنوات ونيف

– عليك أن تأخذ أمراً من المدير العام لإدراج اسمك ضمن الخريجين القدماء

– وأين المدير العام ؟

في العالي

– وكيف الوصول إليه ؟

اخترق هذه الجموع ستصل إليه إذا لم يكن هناك مافيه أو عسكري يصدك عن الطريق.

– وأنت هل أنت خريج ؟

قد أكون مثلك .

فكر قليلاً قبل أن يخطو الى الامام قال في نفسه لن أصل الى المدير العام والحالة بهذا الشكل.. خرج مسرعاً يجر أذياله وهو يمسح قطرات العرق المتصبب . صادف أمامه أحد زملائه الذي كان معه في زمن ما لم يلتفت إليه أسقط دمعة ساخنة مسحها بكم يديه .

قال في نفسه : هذه هي الصداقة المرة (السيارات العتيقة أرحم من هذا) انصرف عائداً الى باب الميناء يحمل معه ملفه العتيق كما هي السيارات التي يتسلقها ، حمد الله وشكره على نعمته .. توضأ وصلى الظهر خرج هادىء البال . راض بالمقسوم وهو يقرأ قوله تعالى : "لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم" (صدق الله العظيم)

– وتذكر قول الإمام الشافعي :

ورزقك ليس ينقصه التأني ... وليس يزيد في الرزق العناء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع ... وأنت ومالك الدنيا سواء

طوى ملفه تحت سترته وطوى معه زمناً بعيداً يجهله . قال في نفسه : المكتوب لابد أن يحصل .

من الشعر الغنائي

معنى الحب

كلمات الشاعر/ خالد فضل محسن الحدث

يمـر الـعـمـر لحـظـاتـه وسـاعـاتـه
وأيـامـه تمـر
حـسـب مـا راح مـن عـمـري عـرفـتـك فـيـه
وبـاقـي الـعـمـر– كـل الـعـمـر– سـيـدي بـانـتـظـر

□ □ □

بـا انـتـظـر– آمـل– يـلـين لي قـلـبـك
وعـقـلـك يـفـتـكـر
أنـا وان طـال بـي صـبـري مـا هـمـني سـيـدي
إن كـنـت أنـا خـسـران وأنـتـه مـنـتـصـر

□ □ □

مـعـتـرف حـبـك وفي محـراب حـبـك
قـلـبـي قـد أسـر
أسـيـر يـتـعـبـد سـيـان عـنـده تـطـلـقـه
وإلا تـركـتـه داخـل المـحـراب حـتـى يـحـتـضـر

□ □ □

الحـب مـشـى عـنـدي حـرارة شـوق
ولـوعـة تـعـتـصـر
وإلا رسـالـة تـخـتـزل أجـمـل مـعـاني الـعـشـق
تـقـرأهـا روحـك بـهـا تـهـدأ وحـالـك يـسـتـقـر

□ □ □

الحـب مـا جـاوز حـدود الـعـقـل والمـنـطـق
وسـاعـات الـصـفـر
أقـوى مـن فـرحـة لـقـاء لحـظـة صـفـا
ومـن جـغـرافـيـا الأوطـان ومـاضـي قـد عـبـر

حوطة لحج

أخي المواطن
أختي المواطنة

معركتنا مع الإيدز معركة التزام جماعي
الكل يشارك .. الكل مسؤول